كتاب معرفة الجواهر

الباب الأول: في معادنها.

الباب الثاني: في خاصيتها.

الباب الثالث: في خير ذخائر الملوك.

obeikandl.com

الباب الأول

في معادنها

معدن الياقوت في جبال المشرق في عين الشمس، ومعدن الزبرجد جبال[١] المشرق، ومعدن اللعا جبال خراسان، ومعدن الماس بئر استخرج منه حمل بالحيلة بوادي عين الشمس، ومعدن المغناطيس ساحل بحر الهند، ومعدن اللآلئ البحر، ومعدن الفيروزج يتغير بتغير الهواء ويتكدر بكدورة الهواء، والقطران والزرنيخ والكبريت لها معادن.

الباب الثاني

في خاصيتها

اعلم أن أشرف الجواهر وأكرمها الياقوت، وهو على أنواع: أبيض وأصفر، وأزرق، ورماني، وطبع الياقوت حار يابس. وخاصيته أن كل جوهر ينماع ويذوب في النار سوى الياقوت، فإنه لا تعمل النار فيه، وكلما كان في النار أطول يكون لونه حسن، وإذا جعل في الفرج يذهب السوداء ويزيد في الحرارة، وإذا استصحب الياقوت ووصل إلى بلدة فيها وباء لا يضره الوباء بإذن اللّه تعالى، وخاصة أخرى: لا يعمل فيه شيء سوى الماس.

فصل: والزبرجد والزمرد نوع واحد، وإنما العوام يسمونه باسمين، وطبعه بارد رطب ومعدنه جبال المشرق. واختلفوا في عينه، فقيل: إنه بخار الذهب يتصعد من المعدن فإذا كثر ذلك يتحجر. وله خاصية واحدة في دفع السموم فإذا

---

(١) جبال: بالنصب – على نزع الخافض – أي: في جبال، فلما نزع الحرف (في) انتصبت، مثل قولك: معنى كذا لغةً؛ أي: في لغة العرب.

سم إنسان، فيؤخذ شعيرة منه تسحق ويسقى المسموم يخرج السم من أعضائه، وإذا جعل الزمرد حذاء عين الأفعى تنشق عيناها بإذن اللّه تعالى، وخاصية أخرى: لو لدغ العقرب أو الزنبور إنسانا فيؤخذ الزبرجد ويسحق مع الرائب[١] ويطلى عليه، فيجذب السم بإذن اللّه تعالى.

فصل في خاصية اللآلئ: إذا بلغت الشمس رأس الحمل وبلغ نيسان يخرج الصدف من البحر المحيط إلى بحر عمان ويفتح فاه، وتجذب قطرات المطر إلى فيها، ثم يغيب أربعين يوما حتى تبلغ الشمس الجوزاء فتخرج وتدور مع الشمس تذهب وتجيء إلى استكمال أربعين يوما فتصير القطرات في جوفها لآلئ بإذن اللّه تعالى، ومن كان به بهق فيأخذ اللآلئ ويسحقها مع الخل ويطلى على البهق يبرأ بإذن اللّه تعالى.

فتفكروا معشر الأمراء والعلماء في الفيروزج يصفو بصفاء الهواء ويتكدر بكدورة الهواء، فإن كان الهواء صافيا فيكون لونه صافيا، وإن كان كدرا فيكون لونه كدرا، ذلك تقدير العزيز العليم، فإن تغير الهواء في الساعة مائة مرة يتغير الفيروزج، ومتى لقي الدهن[٢] يلين ويصفو، ولو بقي عشرة أيام في الدهن يزيد وزنه.

خاصية الفيروزج: من أصبح من النوم ووقعت عينه على الفيروزج لا يرى في يومه إلا الفرح والسرور، ولا يغتم في ذلك اليوم، والحكماء يسمونه المفرح.

خاصية أخرى: من استصحبه إذا نام لا يرى رؤيا مخوفة، وإذا استعمل في الإكحال يزيد في نور البصر.

في خاصية البادزهر: وهو على أنواع: أصفر، وأبيض، ومعدنه جبال

---

(١) أي: اللبن الرائب.
(٢) أي: متى مسه الدهن يلين ويصفو.

خراسان، وخاصيته أن يدفع السموم إذا سحق مع الرائب وسـقي المـسموم لأن السم يقصد دم القلب المعقود فيحلله. وخاصية أخرى: يطلى على الملدوغ بعـدما يسحق مع الرائب.

فصل في خاصية الماس: هو حجر ليس في عالم اللّه شيء يكسره سـوى الآنك[١]، فإن اللّه تعالى جعل كل عزيز مقهورا بذليل خسيس، وكل قوي أسـيرا بضعيف، وأول من استخرج الماس من معدنه إسكندر في حالـة اجتيـازه إلـى المشرق، فنزل بوادي عين الشمس وفيه حيات وعقارب وفيه حية عظيمة ارتعد عسكر الإسكندر من هيئتها فعمل مرآة مثل المِجَنّ[٢]، وجعلها علـى رأس رمـح ووقفه على مقابلة الحية، فلما نظرت الحية إلى نفسها ماتت مكانها، ثـم ضـرب فيها النار ثم بلغ إلى شفير البئر وأرسل الحبال والأطناب فاسترسل في البئر زهاء خمسة آلاف ذراع ولم يبلغ إلى قعرها، ثم جوّع النسور أيامـا وشـوى الأغنـام وألقاها في البئر بين أيديهن وكانت النسور تدخل وتخرج الشياه من البئر فيلصق بلحومهن شيء مثل النشادر فأقام هناك شهرا حتى استخرج منها وِقْرًا[٣]، والذي هو في العالم اليوم وِقْرٌ واحد.

فصل: وحجر المغناطيس حار يابس في بحر الهند، ومتى مرت سفينة قـي بحر الهند مقابل الجبل على عشرة فراسخ يتناثر الحديد والمـسامير التـي فـي السفينة ويطير منه مثل الطير، وقيل: إنه يقلع النعل من حافر الفرس، وخاصيته إذا وقف الحديد في مقابلته يضرب الحديد ويمشي، وإن طلي بالثوم تبطل خاصيته ولا يجذب الحديد، انظر إلى صنع اللّه العجيب، فإذا غسل بالخل أو بالـدم تعـود

---

(١) الآنك: هو الرصاص.
(٢) المِجنّ: كالدرع يتقى به من الضرب في القتال.
(٣) الوِقر: حِمل البغل أو الحمار، ويستعمل في البعير، فيقال: وقر بعير. "المصباح المنير".

خاصيته، ولو سحق وطلي على المسموم يجذب السم، ولو انحبس النبل والحديد في جراحه ولم يخرج فيوقف على مقابلته يخرج النصل والحديد.

فصل: وحقيقة البلور ما يتحجر في تموز بإذن اللّه تعالى، كما أن الملح في شهر تموز ينحل بإذن اللّه تعالى، وإذا جعل مثل الأكرة[١]، ويقابل به الشمس ويوقف القطن مقابل ذلك؛ ينعكس الشعاع عليه فيقع الحريق في القطن ويحترق[٢].

الباب الثالث

في خير ذخائر الملوك

واختلف الملوك في خير ما يقتنيه المرء، فمن قائل: كنوز الذهب والفضة، فقيل: إن في ذلك صيانة العرض، وقضاء الحقوق وصلة الرحم، ومعونة على المعيشة، غير أنهما حجران، إن أمسكا بطل نفعهما، وقال بعض الملوك: خير الذخائر الضِّيَاع[٣]، وقال بعضهم: صولة العدو غير مأمونة وأصحابها رهائن لها، لا يستطيعون أن يزيلوها، وقال آخرون: الغنم، فإنها كثيرة الدر لخلالها وأوصافها غير أنها تُقْبل مع الخصب، وتدبر مع الجدب، وقال بعض الملوك: الإبل؛ فإنها لتؤدي رحالك وتحمل أثقالك أنسالها مال وألبانها

---

(١) أي: مثل الكرة.

(٢) من الكتب التي يستفاد بها في معرفة هذه الخواص ووضعها في حيز الدراسة والتجارب كتاب "بلوغ المرام في علم النبات والحيوان والجماد" لابن حجَّة الحموي تحت الطبع بالمكتبة الأزهرية بتحقيق د/عبد الحميد حمدان، وكتاب "غايةَ الإرشاد في علم الجماد" للإمام عبد الرؤوف المناوي لنفس المحقق السابق، وهو مطبوع بالأزهرية للتراث.

(٣) الضيعة: العقار، وعند الحاضرة: النخل والكَرْم والأرض، والعرب لا تعرف الضيعة إلا الحرفة والصناعة. "مختار الصحاح".

عصمة، غير أن ربها إن حضرها شم بها[١]، وإن غاب عنها ضيعها، وقال بعض الملوك: الخيل؛ فإنها حصون عند البلاء، وزينة في حال السراء، لكنها عيال ومال يحتاج إلى مال، وقال بعض الملوك: خيرها الجواهر، فقيل: إنها رزينة الأثمان، ثقيلة المحمل، لا تتغير في طباعها، غير أن عليها لأعدائك عيونا وصيتا يضر انتشاره عنك؛ لا إنفاق لها إلا على الملوك تكسد بكسادهم، وتنفق بنفاقهم، وقال بعض الملوك: خير الذخائر: الرقيق، قوة العضد، وزيادة في العدد، غير أنهم مال يأكل بعضهم بعضا، ثم يعود آخره حرصا، إن أحسنت إليهم استنقذوك، وإن قصرت بهم حاربوك، فلما أفسد هذه القواعد والأقوال قالوا: أفدنا قال: خير القنية: العلم واعتقاد الإخوان الصالحين.

(١) شمَّ بها: أي تكبر بها. "القاموس المحيط".